

سردية المكان التاريخي وفاعليته في رواية نوتردام دي باريس لفكتور هيجو

## Narrative historical place and effectiveness in the novel Notre Dame de Paris for Victor Hugo

بغداد عبد الرحمن

Beghdad Abderrahmane

المركز الجامعي بمغنية، تلمسان، الجزائر

بريد الكتروني: abderrahmane-beghdad@hotmail.com

تاريخ التسليم: (2018/4/19)، تاريخ القبول: (2018/9/17)

### ملخص

إذا كان هناك عمل روائي له صلة وثيقة بالمكان ومحتوياته بشكل مباشر ودقيق، فإن رائعة نوتردام دي باريس Notre-Dame De Paris للكاتب الفرنسي فيكتور هيجو Victor Hugo تلفت انتباهنا إلى كثافة الدلالات والرموز التي شجّن بها المكان، إضافة إلى شاعرية الخطاب السردية الذي طغى على هذه الرواية. لذا مازال العديد من الدراسين والنقاد وحتى القراء يلتفتون إلى القيمة التعبيرية التي أثّرت فضاءات هذه الرواية وعوالمها بإحساءات ومعاني إضافية خدمت رؤية الكاتب، الذي استعان أيضاً بالعناصر الحكائية من سرد وحوار وشخصيات متخيلة ليمنح نصه الروائي أبعاداً اجتماعية ونفسية ودينية. وانطلاقاً من ذلك، استندت هذه الورقة البحثية في تناولها للمكان، على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة. تمّ في المقدمة عرض إشكالية البحث وأهميته والمنهج المتبع ثم أهم الدراسات السابقة لصورة المكان مع تعريف موجز لمصطلحات المكان والحيز والفضاء. وجاء المبحث الأول عبارة عن دراسة لخصوصيات المكان التاريخي، في حين تضمن المبحث الثاني دلالات الفضاء عبر العناوين الفرعية لوقائع الرواية، وحُصّص المبحث الثالث بالدراسة لرمزية فضاء شوارع باريس ودلالاتها، وعالج المبحث الرابع والأخير رمزية فضاء كاتدرائية نوتردام دي باريس. ثم أجملت الخاتمة أهم نتائج هذه الدراسة.

**الكلمات المفتاحية:** فكتور هيجو، الرواية الفرنسية، الرومانسية، الفضاء، الكاتدرائية، باريس.

### Abstract

If there is a work of fiction relevant to the document library and its contents directly to the delicate, the exquisite Notre-Dame de Paris by the French Writer Victor Hugo draws our attention to the density of signifiers

and symbols that charging by the Office, in addition to poetic discourse and narrative in which the tyranny on this novel. So still many student critics, and even readers seeking to value-expressive, which has affected the spaces of this novel and their capitals with connotations and additional services the vision of the writer, which I use also elements of Islam from the narrative and dialogue characters specialized to read narrative dimensions of social, psychological, and religious. Proceeding from that, based on this research paper in their office, on the front four and the finale. Been in the show problematic search, relevance and product followed and then the most important previous studies the image of the office with a brief definition of the terms place and space. Came early the first is a study of the peculiarities of the historical place, while the second semantics space across the sub-headings of the facts of the novel, and in particular the third building to study the symbolism of the space of the streets of Paris and their referents, usually early treatment the fourth and final symbolic space of the Cathedral of Notre-Dame de Paris. Then outlined the conclusion the most important results of this study.

**Keywords:** Victor Hugo, the novel French, romance, space, cathedral, Paris.

#### المقدمة

يُعد فكتور هيجو واحداً من الروائيين الفرنسيين الذين اهتموا بـ "المكان" اهتماماً واضحاً في رواياتهم، ابتداءً من بوج جرجال Bug-Jargal (1819) وانتهاءً بأخرها: ثلاث وتسعون أنواع المكان بصورة أوبأخرى. فروايتة "بوج جرجال" Bug-Jargal (1819) اتخذت من مدينة سانتودومينغو Saint-Domingue بهاييتي Haïti خلفية لها مصورة لصراع العرقين الأبيض والأسود وصراع الطبقات، أما رواية "هان إيسلندا" Han d'Islande (1825) اتخذت منطقة نروندهييم Trondheim بالنرويج Norvège مسرحاً لتمثيل عقوبة الإعدام وتصوير حالة فقر عمال المناجم بها، في حين ركزت رواية "آخر يوم للمحكوم عليه بالإعدام" Le Dernier Jour d'un condamné (1829) على حالة ذلك الشاب الذي ظل يعيش مع فكرة الموت داخل زنزانته، وهو يسرد ظروف محاكمته والحكم بإعدامه.

كما لا تكاد تخلو واحدة من رواياته الباقية من تناول دقيق ومفصل للمكان، فرواية كلود غيوك Claude Gueux (1834) المستوحاة من أحداث واقعية، ركزت عن قاتل تم إعدامه في فرنسا. ورواياته: البائسون Les Misérables (1862) وعمال البحر Les Travailleurs de

(1866) la mer والرجل الذي يضحك (1869) L'Homme qui rit اختصت بتناولها لأماكن مثل: باريس والبحر وإنجلترا.

إنَّ الوصف الروائي لفصول وأحداث رواية "نوتردام دي باريس"، سمح لنا بالوقوف على سمات متباينة لأمكنة مختلفة من حيث الاتساع والضييق، أو من جهة الانفتاح والانغلاق، رافقت الشخصيات الرئيسية في دورة حياتها داخل المتن الروائي، بل واحتوت على رموز لم تستطع اللغة المباشرة أن تنقلها بكل قوتها ودلالاتها.

#### إشكالية البحث وأسئلته

تجيبنا الأسئلة التالية عن مشكلة البحث:

1. هل كان للعصور الوسطى أثر في رسم ملامح أفضية رواية نوتردام؟
2. إلى أي حد وُقِّقَ فكتور هيجوفي تصوير أمكنة روايته الخارجية؟
3. إلى أي مدى انسجم الفضاء الروائي مع الشخصيات وتيسير حركتها؟
4. ما مساهمة الكاتب الفرنسي في تقريب صورة المكان لقارئ الرواية؟

#### أهمية البحث

تكمن أهمية هذه الدراسة في وقوفها عند جملة من الحقائق الفنية والتاريخية لعصر ما قبل النهضة الفرنسية والتي نجملها في التالي:

- إن قصة نوتردام دي باريس ليست بالرواية التاريخية؛ لأن شخصياتها لم تكن يوماً حقيقية، وإن كان النقاد والدارسون يصنفونها ضمن الأعمال الأدبية التي رسمت أحداثاً وشخصيات واقعية.
- حاول فيكتور هيجو – من خلال قصته – إعادة تصوير حقبة زمنية مهمة في تاريخ فرنسا وهي مرحلة العصور الوسطى، التي ظلت الظلامية والخرافات من أكثر المظاهر انتشاراً فيها: إزميرالدا الراقصة العجورية من أصل مشكوك فيه، وكازيمودوصاحب الخُلقة البشعة المشوهة، وأخيراً فرولو القس المسيحي الرؤوف والقاسي في آن واحد. ومن أجل وصف تلك الملامح بدقة متناهية عمد الكاتب إلى قدرة تخيل القارئ وتأويله للأحداث ليُقبل على تلقي النص بشغف ومصداقية.
- يعلن الكاتب في مقدمة الرواية أن أحداث هذا العمل القصصي تعود في الحقيقة إلى 6 جانفي من سنة 1482، في حين أن الرواية تمَّ نشرها في عام 1831، لذا يدعوا القارئ إلى القيام برحلة في الماضي للوقوف معه على وقائعها وتفصيلها.

– يكاد يكون فيكتور هيجومن أكثر الأدباء الفرنسيين المحدثين ارتباطاً بظروف العصور الوسطى، واندماجاً بمكوناته، فتصويره للأماكن تكاد تشبه الرحلة السياحية عبر الشوارع الباريسية للقرن 15م.

### منهج البحث

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخي الذي فرض نفسه، كمنهج رئيس لفك رموز الأمكنة الواردة في الرواية، واستنطاق دلالاتها، عبر استقصاء المعلومة، أو الخبر، أو الحدث. كما اقتضت طبيعة الموضوع أيضاً الاستعانة بالمنهج الوصفي لدراسة ذلك التعالق بين الشخصية والمكان، وذلك لأنه هو الآخر الأنسب لمثل هذه الموضوعات.

### الدراسات السابقة

حظيت الدراسة الأدبية والفنية لصورة المكان في رواية "نوتردام دي باريس" باهتمام الدارسين والباحثين المختصين في الرواية الفرنسية، حيث أحاطوا بأدب فيكتور هيجو وبموضوعات رواياته وبأهم خصائصها الفنية. وهذه بعض الدراسات باللغة الفرنسية التي تمكنت من الإلمام بتلك العناصر:

1. أحذب نوتردام Le Bossu de Notre-Dame (1994)، تنزع بنا هذه الدراسة – عبر المتن الروائي "نوتردام دي باريس" - نحو عهد باريس خلال القرون الوسطى كما تخيلها فيكتور هيجو. وهنا تبرز سلسلة من الأحداث والشخصيات والحوارات التاريخية التي زعزعت العديد من الثوابت الفكرية والاجتماعية الراسخة في الأمة الفرنسية.
2. البلاغة التداولية في الأعمال الخطابية والسردية لفكتور هيجو (2001)،

La rhétorique délibérative dans les œuvres oratoires et narratives de Victor Hugo

تعالج هذه المادة النصوص الخطابية والتداولية التي جمعها فيكتور هيجو، وبفضلها تمّ تحديد أهم الأشكال الفنية والأجناس الأدبية الكفيلة التي زحزحت معظم المشكلات التي كانت تُعاني منها

أوربا عامة وفرنسا خاصة، وفي مقدمتها موضوعي الفقر وحرمان الإنسان من الحرية.

3. قراءة معاصرة لنوتردام دي باريس Lecture aujourd'hui de Notre-Dame de Paris (2006)، تتناول هذه الدراسة عناية فيكتور هيجو برصد تاريخ الكاتدرائية وملاحها عبر رحلة مثيرة إلى العصور الوسطى، مبرزاً أهمية هذا المكان الرومانسي في تحديد معالم أدب الروائي الفرنسي.

لاشك أن المكان يمثل محوراً أساسياً في العمل القصصي باعتباره تلك: "الحاضنة الاستيعابية والإطار العام الذي تتحرك فيه الشخصيات وتتفاعل معه، وأي نص مهما كان جنسه الأدبي، لابد أن يتوافر على هذا العنصر ما دام فعل الحكّي هو الأساس الذي ينطلق منه ويعود إليه ويتمظهر

من خلاله وبوساطة آلياته وقوانينه<sup>(1)</sup>. هذا بالإضافة إلى أنه علينا ألا ننظر للمكان على أنه تجسيدٌ فقط لتلك البقعة من الجغرافية المحدودة المرتبطة بمساحة محددة من الأرض في منطقة ما، بل يجب لا بد من الوقوف على مدى إسهامه في تكوين هوية الكيان الجماعي، وفي التعبير عن المقومات الثقافية له، وعلى ذلك يكون المكان: "الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه"<sup>(2)</sup>.

وقد تعددت مسميات المكان باختلاف الترجمة، وباختلاف زاوية النظر إليه، ومع تقدم الأبحاث المتعلقة بدراسة المكان، فقد ظهر مصطلح المكان والفضاء والحيز وغيرها من المصطلحات الأخرى التي لا تبتعد في جوهرها كثيراً.

إن كلمة "مكان" تعني الحيز أو الموضع، والجمع أمكنة<sup>(3)</sup>. أما في معنى المكان الاصطلاحي، ذهب العديد من الدارسين إلى اعتبار **المكان Lieu**: "وعاءٌ للحدث وللشخصية إذ يُظهر مظاهر الحياة التي تعيشها الشخصيات كما يحوي الأحداث التي تنموسيرتها ضمن إطار محدد"<sup>(4)</sup>، بالإضافة إلى أنه يعكس سلوك الفرد ومشاعره وأحاسيسه ويحدد طبيعة الشخصية وسماتها<sup>(5)</sup>. أما جيرالد برنس فيعرف المكان Space بأنه ما تقدم فيه الوقائع والمواقف<sup>(6)</sup>. في حين ذهب جاستون بلاشير إلى القول بأن المكان هو: "ما عيش فيه لا بشكل وضعي، بل بكل ما للخيال من تحيز، وهوبشكل خاص، في الغالب مركز اجتذاب دائم"<sup>(7)</sup>. كما اهتم عز الدين إسماعيل بحقيقة المكان التي حددها في الصفات الموضوعية والوسائل القياسية التي تسهل التعامل بين الناس في حياتهم اليومية<sup>(8)</sup>. وللمكان اجتماعياً اعتباراً وحظوة أيضاً، لما يحتوي عليه من خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه، ولذا كان شأنه شأن أي نتاج اجتماعي آخر يحمل جزءاً من أخلاقية وأفكار ووعي ساكنيه<sup>(9)</sup>. ونجد عبد المالك مرتاض – من جانب آخر - ينظر إلى المكان الأدبي على أنه "عالم بلا حدود وبحر دون ساحل، وليل دون مصباح، ونهار دون مساء، إنه امتداد مستمر مفتوح على جميع المتجهات، وفي كل الأفاق"<sup>(10)</sup>. كما حدد ياسين النصير ثلاثة مسارات على الأديب الالتزام بها لما يوظف المكان في أعماله الأدبية وهي: "أن يصبح مكان القصة أو القصيدة هوية

- (1) محمد صابر عبيد وسوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي: دراسة في الملحمة الروائية، اللادقية، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط 1، 2008، ص 229.
- (2) ياسين النصير، الرواية والمكان: دراسة في فن الرواية العراقية، بغداد، دار الحرية للطباعة، 1980، ص 16.
- (3) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: مكان، ج 3، ص 516.
- (4) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي: الفضاء. الزمن. الشخصية، بيروت- المركز الثقافي العربي، ط 1- 1990، ص 29.
- (5) ينظر: زياد الزغبي، المكان ودلالاته في رواية العودة إلى الشمال، مجلة أبحاث اليرموك، جامعة اليرموك، الأردن، المجلد 12، عدد 2، سنة 1995، ص 20-21.
- (6) جيرالد برنس، المصطلح السردي، ترجمة: عابد خزندار، المشروع القومي للترجمة، 2003، ص 214.
- (7) جاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، 1980، ص 179.
- (8) ينظر: عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، القاهرة، دار غريب، ط 4، 1984، ص 59.
- (9) ياسين النصير، الرواية و المكان، ص 17.
- (10) عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، 1998، ص 57.

تاريخية ووطنية، وأن يحمل طموحات الأديب الثقافية، بأن يجعله أمام امتحان ثقافي مع العصر، وأن يتحول لدى الأديب الفعل في المكان فعلاً في البحث عن الشخصية المستقبلية والمتطلعة إلى الواقع" (1).

من جانب آخر أطلقت كلمة "الفضاء L'espace" كمصطلح عام على مجموع الأماكن التي تمّ بناؤها في النص الحكائي باعتبار: "أنّ مجموع هذه الأمكنة هو ما يبدو منطقياً أن نطلق عليه اسم فضاء الرواية، لأن الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان، والمكان بهذا المعنى هو مكون للفضاء" (2). وبفضل ميزة الاتساع التي يتصف بها الفضاء، فإنه يشمل الأمكنة والعلاقات القائمة بينها والعلاقات بين الحوادث التي تجري فيها. ولذلك يُعدّ: "برمجة مسبقة للأحداث، وتحديداً لطبيعتها وليس مجرد إطار فارغ تصب فيه التجارب الإنسانية" (3). لكن إذا قارنا بين الفضاء والمكان، فإن محمد بنيس يستخلص: أن المكان منفصل عن الفضاء، وأنه السبب في وضع الفضاء، أي أنّ الفضاء بحاجة على الدوام للمكان" (4).

كما حظيت لفظة "المكان" باهتمام الباحث والناقد عبد الملك مرتاض الذي أطلق مصطلح "الحيز Place" على: "الأحياز المنصلافة إلى الظارفات الخيالية والجغرافية والأسطورية، وما لايجوز أن يقع تحت حكم الاحتواء الجغرافي التقليدي بوجه واضح دقيق" (5).

وخلاصة ذلك كله، فإذا كان الفضاء هو مجموع الأمكنة، أو هو العالم الواسع الذي يشمل على مختلف الأماكن المحددة في أي عمل حكائي، ومن ثم ينفرد بصفة الشمولية، فإنّ المكان ينفرد بصفة الجزئية أي أنه بعض من الفضاء في حين يمكن اعتبار الحيز عنصراً مركزياً وسطاً بين الفضاء والمكان، وإذا اكتسب صفة الثبات يمكن أن يصبح مكاناً. ولعل ما يفضل به المكان عن الاثنين هو، كما يرى برجسون أن المكان: "متجانس، والأشياء القائمة في المكان تُكوّن كثرة متميزة. والمكان وسط متجانس مشابه لنفسه باستمرار في كل مكان، وهو حقيقة بدون كيفية" (6).

ويعد فكتور هيجو واحداً من الروائيين الفرنسيين الذين اهتموا بـ "المكان" اهتماماً واضحاً في رواياتهم، ابتداءً من بوغ جرغال Bug-Jargal (1819) وانتهاءً بأخرها: ثلاث وتسعون Quatrevingt-treize (1874) حيث لا نكاد نجد رواية من روايته التسع إلا وعالج فيها أحد أنواع المكان بصورة أو بأخرى. فروايتها "بوغ جرغال" Bug-Jargal (1819) اتخذت من مدينة سانتودومينغو Saint-Domingue بهايتي Haïti خلفية لها مصورة لصراع العرقين الأبيض والأسود وصراع الطبقات، أما رواية "هان إيسلندا" Han d'Islande (1825) اتخذت منطقة تروندهيم Trondheim بالنرويج Norvège مسرحاً لتمثيل عقوبة الإعدام وتصوير حالة فقر

- (1) ياسين النصير، الرواية والمكان، ص 16 .
- (2) حميد الحمداني، بنية النص السردية من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط 1، 1991، ص 62 .
- (3) عبد الملك مرتاض، قراءة النص، كتاب الرياض، عدد 46 / أكتوبر، عدد 47 / نوفمبر، 1997، ص 313
- (4) محمد بنيس، الشعر العربي الحديث: بنياته وإبدالها، ج3-الدار البيضاء، دار توبقال، ط 1، 1990، ص .
- (5) عبد الملك مرتاض، قراءة النص، كتاب الرياض، عدد 46 / أكتوبر، عدد 47 / نوفمبر، 1997، ص 313 .
- (6) عبد الرحمن بدوي، مدخل إلى الفلسفة الحديثة، الكويت، وكالة المطبوعات، ط 1، 1975، ص 198 .

عمال المناجم بها، في حين ركزت رواية "آخر يوم للمحكوم عليه بالإعدام" Le Dernier Jour d'un condamné (1829) على حالة ذلك الشاب الذي ظل يعيش مع فكرة الموت داخل زنزانتها، وهو يسرد ظروف محاكمته والحكم بإعدامه. كما لا تكاد تخلو واحدة من رواياته الباقية من تناول دقيق ومفصل للمكان، فرواية كلود غيو Claude Gueux (1834) المستوحاة من أحداث واقعية، ركزت عن قاتل تم إعدامه في فرنسا. ورواياته: البائسون Les Misérables (1862) وعمال البحر Les Travailleurs de la mer (1866) والرجل الذي يضحك L'Homme qui rit (1869) اختصت بتناولها لأماكن مثل: باريس والبحر وإنجلترا.

إنّ من يقرأ رواية "أحدب نوتردام دي باريس Notre-Dame de Paris" يرى بوضوح كيف أن فكتور هيجو وفق إلى حد كبير في تقديم صورة حقيقية لواحدة من أكبر كاتدرائيات باريس، باعتبارها بناءً معمارياً يمثل تحفة الفن الغوطي الذي ساد في القرن الثاني وحتى بداية القرن السادس عشر. كما حاول من جهة أخرى، كما يذكر ألفريد باربو: "إحياء أخلاق ولغة القرون الوسطى"<sup>(1)</sup>.

وقد جسد المكان في هذه الرواية واقعاً حقيقياً لا يتجزأ من الإعداد للحدث والتفاعل مع الشخصيات، لهذا سيتم اعتماد المنهجين التاريخي والوصفي في تحليل أبرز الأماكن التي تردد ذكرها في الرواية من مثل: البهو، وميدان جريف، وكاتدرائية نوتردام، وجحر الجرذان، وباريس، البهو، والغرفة، كل هذه الفضاءات كان لها دورها المؤثر في سير الأحداث وفي نمو الشخصية وتفاعلها مع أحداث الرواية.

### 1. خصوصيات المكان التاريخي

لم يعز المثقفون والدارسون الغربيون انتباهاً كبيراً لهذه الرواية، لأنّ أحداثها لم تكن موثقة على نحو كاف على المستوى التاريخي خاصة، وهذا ما ذهب إليه لويس ميغرون Louis Maigron قائلًا: "لا يحمل الكتاب أية فكرة تاريخية، إلا ما جاء فيه من تصوير لوضعية الأخلاق، والمعتقدات، والقوانين، والفنون، والحضارة للقرن الخامس عشر"<sup>(2)</sup>. ومع ذلك، فإن فكتور هيجو في توظيفه للحيز المكاني المتنوع والمكثف، الذي ربطه بشكل مباشر بالأحداث والشخصيات، يكون قد أضفى نوعاً من الرموز والدلالات الواسعة التي منحت هذا العمل الروائي جملة من المميزات التي كفلت له أن يدرج ضمن الأعمال الخالدة.

ولعل من بين تلك الخصوصيات التي وسمت الرواية وجعلت أحداثها أكثر واقعية، أن فيكتور هيجو يحاول أن ينسج رابطاً وثيقاً بين فضاء الكاتدرائية الذي دارت فيه الأحداث وبين الشخصيات نفسها التي كان قدرها منحوتاً على واحدة من أحجار الكنيسة، يقول هيجو في مقدمة الرواية: "بقدر ما أن الشخص الذي دُون اسمه على جدار الكاتدرائية قد مُسِّح، بقدر ما أن الكنيسة نفسها مع تعاقب

(1) Victor Hugo et son temps par Alfred Barbou، G. Charpentier Éditeur، 1881، p. 198.

(2) Le roman historique à l'époque romantique، essai sur l'influence de Walter Scott par Louis Maigron، Librairie ancienne honoré champion، éditeur، Paris، 1912، p.176.

الأجيال والقرون سوف تختفي عن الأنظار بل ومن الأرض أيضاً<sup>(1)</sup>. والملاحظ أن فيكتور هيجويسى - من خلال هذه المروية التاريخية - إلى جعل نسيج قصته حقيقياً في نظر القارئ بعيداً عن كل تخيل تاريخي، وهو ما عبر عنه أندريه داسبريه ANDRÉ DASPRE في اهتمامه بموضوع الرواية والتاريخ ونمط العلاقة بينهما حيث قال: "في الواقع يسعى الروائي دائماً إلى استخلاف المؤرخ بعد إخفاقه في توثيق مادة الرواية التاريخية، حيث إذا قامت الرواية التاريخية على اعتماد - أساساً - الشخصيات في سردها وتفسيرها للحدث التاريخي، فإن السند التاريخي يجمع مادته التخيلية بعيداً عن الشخصيات التي وثقت<sup>(2)</sup>".

وبالتالي فإن الشخصيات التاريخية في هذا العمل الروائي جاءت شخصاً مرسومةً بدقة، فكل شخصية لا تمثل الوجه الحقيقي للوقائع التاريخية فقط، وإنما تعكس أيضاً تلك الرغبات الإنسانية الأساسية التي تقف وراءها كالخوف والشجاعة والإرادة والموت والحب<sup>(3)</sup>. يبدو من خلال هذا الكلام، أن هيجو حريص على الوقوف عند تلك الملامح في الشخصية الروائية التي اختارها بعناية في متنه الروائي، حتى تكون بمثابة التذليل على المراحل التي مرت بها النفس الإنسانية من تحولات خلال مراحل حياتها.

والذي ينبغي أن نشير إليه هنا أن الكاتب مُلم بالرواية التاريخية جمعاً وتوثيقاً للمادة ولأبعادها، حيث يمثل تارة نفسه معلماً مفيداً للقارئ في قوله: "هذه التفاصيل كلها، التي نكشف عنها للقارئ تثقيفاً له"<sup>(4)</sup>، وتارة أخرى نلاحظه يُذكر ما عُرفت به فرنسا خلال فترة العصور الوسطى من فن وذوق: "هكذا عومل فن القرون الوسطى الرائع في كل بلد وبخاصة في فرنسا"<sup>(5)</sup>، ولاسيما ما عُرف عن الفن القوطي خلال القرن الخامس عشر من رشاقة في هندسة البناءات وأعمدتها<sup>(6)</sup>.

وعليه، فإن أهمية هذه الرواية لا تكمن في سردها لأحداث عرفتتها القرون الوسطى محددة زمنياً بتاريخ 6 يناير 1482 بل في ما أضفت على عالم النص من فضاء شعبي ممتع: "إن الذي بعث الانفعال الشديد في شعب باريس كله، صباح السادس من كانون الثاني، كما قال جان دي تزوا، هو البهاء المضاعف ليوم الملوك وعيد المجانين، اللذين يجتمعان منذ عصر مغرق في القدم"<sup>(7)</sup>. ولعل هذا التفسير - كما قال جورج لوكاتش - هو الذي أتاح: "الإمكانات المحسوسة

- 
- (1) Notre dame de Paris par Victor Hugo -Perrotin, Éditeur ·Paris ·1844 ·p. 2.  
 (2) Revue D'histoire Littéraire De La France ·Éditeur : Presses Universitaires de France -Vol.111,2011 p.242  
 (3) Le roman d'aventures par Jean-Yves Tadié -Paris, Éditeur: Presses Universitaires de France ·1982 ·p.9.  
 (4) فيكتور هيجو، أحذب نوتردام، ترجمة: رمضان لاوند، بيروت، دار العلم للملايين، 2007، ص 32 .  
 (5) المصدر نفسه، ص 112 .  
 (6) ينظر: المصدر نفسه، ص 113 و 114 .  
 (7) المصدر نفسه، ص 5 .

للناس ليستوعبوا وجودهم بوصفه شيئاً مكيفاً تأريخياً، وليروا في التاريخ شيئاً يؤثر بعمق في حياتهم اليومية ويعينهم على نحو مباشر" (1).

## 2. دلالات الفضاء عبر العناوين

يعد العنوان من أبرز المحفزات التي تدفع إلى قراءة النص لأنه يفجر في المتلقي طاقات جديدة للقراءة، حيث من خلال عتبة العنوان يبدأ فعل القراءة، وفي بنيتها تكتنز حمولات من المعاني والإشارات الإيحائية والعلامات الدلالية (2). وقد دارت هذه العناوين على غزارتها على مكان معروف باجتماعيته وتاريخيته وطقوسه وهو "باريس"، محاولاً أن يبتكر فيه أسلوباً جديداً في القصة من خلال تمثيل علامة كتابية مميزة دارت حول فضاء دائم الحضور هو "الكاتدرائية La Cathédrale" باعتباره ظاهرة سردية مكانية رئيسية ومحور التجربة القصصية لدى الكاتب التي حددها فيكتور هيجو منذ البداية حيزه القصصي:

### المكان ◀ باريس - الزمان ▶ 1482 م

ومن هنا تنبثق أهمية العنوان بوصفه مفتاحاً يدفع القارئ إلى قراءة الرواية وإثارة انتباهه إلى الأحداث التاريخية التي عرفت فترة العصور الوسطى. وبذلك تكون "نوتردام Notre-Dame" قد حققت الوظيفة الدلالية فيما يعرضه الكاتب من أحداث ودراما وشخصيات تغري القارئ للولوج إلى عالم النص.

وسنعمل في هذا المبحث على استنطاق العناوين التي تركز دلالياً على موضوع المكان الروائي بشكل أساسي ومعلن، باعتبار العنوان جزءاً من: "استراتيجية النص لأنه يقوم بدور فعال في جذب وانجرار المتلقي للدخول في تجربة قراءة النص بوصفه علامة لها بالنص علاقات اتصال وانفصال" (3).

جاء الفصل الأول من الكتاب الأول تحت عنوان "القاعة الكبيرة La Grande salle" مصوراً فيه الكاتب للحيز الجغرافي الذي جرت فيه الرواية وما حمله من أبعاد اجتماعية وثقافية وخلقية وتاريخية وذلك على لسان شخصيات متنوعة اختارها هيجو بدقة متناهية لتدخل القارئ في عالم بشري بباريسي مزيج بين جمهور البرجوازيين والمجانين والفضوليين ورجال الشرطة والملوك (4)، وعليه فإن مكان البهو قد امتلك دلالات حياتية أضحت - بعد ذلك - مساحة واسعة يوظفها الإحساس والشعور الإنساني. لكن ما يمكن الإشارة إليه أيضاً في هذا الفصل:

1. نقد هيجو لمجتمعه نتيجة الإهمال الذي أصاب الآثار التاريخية وضياع التراث الفرنسي.

(1) جورج لوكاتش، الرواية التاريخية- ترجمة: صالح جواد الكاظم- بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط2- 1986 ص19.

(2) ينظر: خليل شكري هياس، العنوان موجه قرائياً، حفريات الذاكرة مثلاً- مجلة الأديب الثقافية- العدد 188- سنة 2011- ص6.

(3) بسام موسى قطوس، سيميائية العنوان، عمان، دائرة المكتبة الوطنية، ط 1، 2001، ص 57.

(4) فيكتور هيجو، أهدب نوتردام، ص 6، 8.

2. سعيه في عرض آرائه السياسية للقراء ولا سيما المعجبين ببلدته بلهجة واضحة وصريحة.
3. عتابه لانعدام الكياسة والكفاءة لدى رجالات السياسة في زمانه.

ويعرض الكاتب في الكتاب الثاني وتحديداً في فصله الثاني مكاناً آخر هو "ساحة جريف La Place De Grève" الذي يصور من خلاله مشاهد حياتية امتزجت فيها الحياة بالموت التي كانت شعار قساوة ذلك العصر، كما ارتسمت على الميدان رقصات لمجموعات شعبية، وفي جهة أخرى مشاهد لتجمعات جماهيرية تملأ المكان جاءت لتحضر محاكمات وإعدامات بواسطة أجهزة تعذيب كالمقصلة المركوزة في وسط الساحة<sup>(1)</sup>.

في حين نجد الكتاب الثالث يخصص فيه الكاتب فصلاً كاملاً لـ "نوتردام Notre-Dame":

"أحد أهم معالم باريس ورمز فرنسا القرون الوسطى بل ورمزها الخالد، وأكثر من ذلك فإن نوتردام تشهد على ثمانية قرون من تاريخ المدينة، أي نصف هذا التاريخ، وتشكل رمزاً لاستمراره (...). وبعد ذلك اعتبرها فيكتور هيجوراعية التاريخ الفرنسي La paroisse de l'histoire de France واتخذها مجالاً لرائعته نوتردام"<sup>(2)</sup>.

وعُرفت هذه الكاتدرائية أيضاً ببنائها البالغ الروعة الذي ما يزال مكتوباً على أحد جدرانها عبارة: "الأيام عمياء، والناس حمقى le temps est aveugle, l'homme est stupide". ونقرأ وصف الكاتب لها في قوله: "ما هو أجمل من واجهة الكنيسة الأمامية من صفحات الفن الهندسي، قليل جداً، حيث حفرت على التتابع وفي مرة واحدة أبواب ثلاثة ذات حنايا، وسلسلة مطرزة مسننة من ثمان وعشرين كوة ملكية غير نافذة، والوردة المركزية الضخمة التي برزت منها نافذتاها الجانبيتان (...). ثم الرواق الدقيق العالي للقطار الصغيرة، والذي يحمل فوق أعمدته الدقيقة سقيفة ثقيلة، وأخيراً البرجان الأسودان الكثيفان (...). أجزاء متناغمة لكل رائع، تتمولها على مشهد من العين"<sup>(3)</sup>.

وفيكتور هيجولم يهتم بتسلسل الأحداث في روايته بل يحتفي بجزئيات مكانية لا تخطر على بال القارئ بل تثير إعجابه حد اللذة وانقطاع النفس، وهو يستعرض في الكتاب الخامس وصف "جحر الجرذان Le Trou aux Rats" الذي كان له حيز من التوظيف الروائي، وهو في الحقيقة عبارة عن حجيرات تشبه القبر كانت تضع فيها السلطات الدينية ضحايا البرص، الذين كان الناس - بين الفترة والفترة - يحملون إليهم فتاتاً من مساعداتهم، أو ينظرون إليهم عبر كوة في الجدار ليتأكدوا ما إذا كان أحدهم قد بقي حياً أو مات. وقد كتبت فوق باب الحجيرة جملة لاتينية مركبة من كلمتين: "تروأورا Trou aux Rats، معناها حفرة للجرذان"<sup>(4)</sup>.

- (1) المصدر نفسه، ص 56 و 57.
- (2) معاوية سعيدوني، باريس قاعدة تجدد العمارة والعمران في القرنين التاسع عشر والعشرين، مجلة عالم الفكر - الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عدد 3، المجلد 38، 2010، ص 173 و 176.
- (3) ينظر: فيكتور هيجو، أحذب نوتردام، ص 109 و 110.
- (4) المصدر نفسه، ص 146.

وفي الكتاب السادس تأخذ "الأجراس les cloches" نصيبها من الوصف الروائي، وذلك في إشارة إلى مكان وجودها: كنيسة نوتردام التي علقت في أعلاها جرس يقرع في كل مناسبة يؤرخ لمسار حياة الناس وعاداتهم في العصر الوسيط من مثل: القدّاس، والجنائزات، وحفلات الزفاف، والأعياد وحتى المناسبات الوطنية المهمة. غير أن الذبذبات الصوتية التي كانت تبعثها تلك الأجراس النحاسية اختفت بصفة نهائية، فبدت الكنيسة محزونة صامتة<sup>(1)</sup>. وقد شعر الأحدب كازيمودوبالبحب الفائق نحو تلك الأجراس، فتعلق بها، وراح يبعث فيها الحياة من جديد وكأنه قائد فرقة موسيقية يروح ويجيء ويصفق بيديه معبراً عما يجمعه بها من رابطة صداقة متينة<sup>(2)</sup>. واللافت أن فكتور هيجو هو واحدٌ من أشد الوصافين لمثل هذه الأماكن المهملة والمهمشة والتي لاتخطر في ذهن المتلقي بل يمنحها الحياة ويجعلها متناً لهوامش حياة الناس باستغراق قلّ نظيره.

ومع تنامي الحدث وتوصيف المكان، وتحت تأثير واقع سياسي لا يمكن الابتعاد عنه، يعرض هيجو في الفصل الخامس من الكتاب التاسع "حيث يصلي لويس الحادي عشر Monsieur Louis de France le retrait où dit ses heures" لسجن الباستيل الذي كان نُزلاً للمعارضين السياسيين والمتهمين بالتآمر على الدولة، لكن ما يستوقف الكاتب أكثر بداخل هذا السجن، هو تلك الغرفة التي خصصها لويس الحادي عشر لنفسه، وأثر النوم فيها حين كان يحل ضيفاً على باريس، حيث كانت قائمة في أعلى طبقة من طبقات السجن: "ذات شكل دائري، ولها نافذة واحدة ذات ألواح زجاجية ملونة وعوارض حديدية. كم أن لها مدخلاً واحداً فقط. وهي خالية من الرياش الثمين الذي تزهبه غرف قصر اللوفر، ليس فيها غير كرسي واحدة، مما يدل على أن شخصاً واحداً من نزلائها ذوق في الجلوس. وإلى جانب الكرسي منضدة يغطيها بساط ذورسوم على هيئة العصافير، وعلى الغطاء أوراق وأدوات كتابية، وفي أقصى الغرفة سرير عادي بسيط خال من كل زركشة وأبهة"<sup>(3)</sup>. وبذلك، أصبح هذا المكان بمثابة المرآة العاكسة للشخصية، وأن وصفه يرتبط بوصف علاقة الساكن بالمسكن، وبالتالي فالمكان "يحمل جزءاً من أخلاقية وأفكار ووعي ساكنيه"<sup>(4)</sup>.

وفي هذا العرض البسيط تُوضّح خلاصة الانسجام بين المكان والشخصيات:

القاعة الكبيرة ◀ البرجوازيون والمجانين ورجال الشرطة والملوك

ساحة جريف ◀ الجماهير الشعبية والمحكومون عليهم بالإعدام

كنيسة نوتردام ◀ كازيمودو

جُحْر الجرذان ◀ ضحايا البرص

(1) ينظر: فيكتور هيجو، أهدب نوتردام، ص 188 .

(2) المصدر نفسه، ص 189 .

(3) ينظر: المصدر نفسه، ص 352 .

(4) ياسين النصير، الرواية والمكان، ص 17.

### عُرْفَةُ السَجْنِ ◀ لويس الحادي عشر

نجد - فيما سبق - أن لرواية فيكتور هيجو مذاقاً آخر يتمثل في تميزها الواضح في ربط تلك الأماكن المختلفة بشخصيات محددة تتنامى معها وتتناغم مع عواملها النفسية، فلكل شخصية - إذاً - مكانٌ مُحَبَّبٌ تتحرك في إطاره، وأنه كلما كان تحديدنا لأدوار الشخصيات في الرواية أدق كان ارتباطها بالمكان أعمق. ومن ثم: "بإمكان بنية الفضاء الروائي أن تكشف لنا عن الحالة الشعورية التي تعيشها الشخصية، بل وقد تساهم في التحولات الداخلية التي تطرأ عليه"<sup>(1)</sup>. ولعل من أبرز تلك الدلالات النفسية التي أراد تسجيلها فيكتور هيجو في روايته - انطلاقاً من رؤاه الرومانسية - هي تحويل المكان العام المائل في كاتدرائية نوتردام من مجرد مكان للعبادة إلى فضاء تغمره مشاعر الحب والحرمان والإحباط والإخفاق والألم.

### 3. فضاء شوارع باريس ودلالاته

إن فضاء الشارع الباريسي باعتباره مظهراً مهماً بالنسبة للمتلقي يحمل دلالات جمالية ورمزية تعكس أحوال مجتمع العصور الوسطى. وتكمن الصورة الحقيقية لشوارع باريس في كونها: "الحاضنة الحضارية التي ورثت فكر أثينا الإغريقية، وثقافة روما اللاتينية، ومعرفة قرطبة الإسلامية وحيوية القسطنطينية البيزنطية والعثمانية"<sup>(2)</sup>. وقد ركز فيكتور هيجو خلال رسمه لمشاهد الرواية ووقائعها على شوارع محددة في باريس، سواء أكانت طريقاً، أم ساحةً، أم نافورةً، أم جسراً، إلخ. ويمكننا حصر الشوارع الأكثر تمثيلاً للفضاء الباريسي في ثلاث مجموعات مُجَدُّولة كالتالي:

أ- الشوارع ذات الصلة بالحرف والمهنة

نسبة إلى صناعة الأحذية	◀	la Savaterie
نسبة إلى صناعة الصوف	◀	La rue de la Vieille-Draperie
نسبة إلى صناعة السكاكين	◀	La rue de la Coutellerie
نسبة إلى مهنة الكتاب	◀	La rue des Ecrivains
نسبة إلى مهنة الذبح	◀	La rue de l'Ecorcherie
نسبة إلى مهنة الجزارة	◀	La rue des Boucheries
نسبة إلى مهنة المُحامين	◀	La rue du Bâtonnier
نسبة إلى صناعة الزجاج	◀	La rue de la Verrerie
نسبة إلى صناعة النسيج	◀	La rue de la Tixeranderie

(1) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي: الفضاء. الزمن. الشخصية، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1- 1990- ص 30.

(2) ناصر الدين سعيدوني، باريس بين عبقرية المكان وفاعلية الإنسان، مجلة عالم الفكر، ص 8.

## ب- الشوارع ذات الصلة بالرموز الدينية

نسبة إلى حي يهودي	←	La rue de la Juiverie
نسبة إلى حي مسيحي	←	La rue Neuve-Sainte-Geneviève
نسبة إلى كنيسة مسيحية	←	La rue Saint-André-des-Arcs
نسبة إلى كنيسة مسيحية	←	La rue Saint-Pierre-aux-Bœufs

## ج- الشوارع ذات الصلة بأسماء الأعلام

نسبة إلى صاحب مكتبة	←	La rue Jean-de-Beauvais
نسبة إلى كاتب فرنسي	←	La rue de Glatigny
نسبة إلى شعب جرمانى	←	La rue des Lombards
نسبة إلى كاتب فرنسي	←	La rue Marivaux
نسبة إلى صاحب ملجأ	←	La rue Clopin

وقد ظهر اهتمام فيكتور هيجو الواضح بالشوارع الباريسية في مواضع كثيرة من روايته بصورة أخرى، فهو لا يكاد يذكر شارعاً من الشوارع التي دارت فيها أحداث روايته إلا ويربطه بدلالة يقوم بتوضيحها بالمثل، حيث يذكر هيجو أن أحد تلك الشوارع والمسمى بـ"شارع لاسافترى" كانت أدراجه تصلح لأن تكون مخدة جيدة يستعملها المتسول للراحة والنوم من جهد السؤال<sup>(1)</sup>. كما كانت شوارع باريس الضيقة والمظلمة ساحةً للشعور بالخوف خلال السير بها ليلاً، يقول هيجو: "في شارع ضيق مظلم، حيث لا يجرؤ أحد على المخاطرة باللاحاق بهما"<sup>(2)</sup>. كذلك مثل حضور الناس إلى إحدى الشوارع الباريسية التي أتوها من كل حدب وصوب خلفيةً لكثير من الأحداث منها الحديث في أمور السياسة أو التقاط الأخبار الجديدة: "إذا رغب القارئ في أن يتعرف إلى الشاغل أو الشاغلة فليس عليه إلا أن يستمع إلى حديث ثلاث من النساء كنّ يأتين من الشاتليه إلى ساحة جريف على امتداد المجرى المائي"<sup>(3)</sup>.

وبهذا، تكون باريس وشوارعها التي: "تعد واحدة من أكثر مدن العالم جمالاً"<sup>(4)</sup>، قد منحت الكاتب نوعاً من التميز، فهي بشكل عام مدينة غنية بتاريخها وبتاريخها وبتاريخها المعماري وفي طبيعتها وحياتها الاجتماعية اليومية الممزوجة بطابع فريد من العادات والتقاليد، فضلاً عن فريدة أحداثها التاريخية. كما نشير إلى أنه على الرغم من واقعية الأماكن التي دارت فيها رواية نوتردام دي باريس، فإن المخيلة الروائية الحاذقة لفكتور هيجو قد أضفت على هذه الشوارع الباريسية شيئاً من التسامي والعلو، وقد اختلط ما هو واقعي فيها بما هو خيالي حتى أصبح من العسير لدى القارئ أن يتلمس المضاف من الخيال الخصب لما هو واقع.

(1) فيكتور هيجو، أحذب نوتردام دي باريس، ص 53 .

(2) المصدر نفسه، ص 68 .

(3) فيكتور هيجو، أحذب نوتردام، ص 147 .

(4) منير البعلبكي، موسوعة المورد العربية، بيروت، دار العلم للملايين، ط 1، 1990، مج 1، ص 190 .

#### 4. رمزية فضاء كاتدرائية نوتردام دي باريس

بدايةً، حدد الكاتب بعداً مكانياً للأحداث هو كاتدرائية نوتردام دي باريس Notre- de Paris Dame باعتبارها يؤرخ لأحداث الرواية التي خضعت لزمينين متباعدين هما:

- أ. زمن وقوع أحداث الرواية = العصر الوسيط
- ب. زمن سرد أحداث الرواية = القرن التاسع عشر

وأهم ما يميز المكان في هذه الرواية هو علاقة العنوان الواضحة به، حيث أوصى العنوان بوجود قيمتين رئيسيتين: تاريخية واطفية، تتضح الأولى عبر اختيار المكان التاريخي / الكاتدرائية مسرحاً ليعرض فيه الكاتب مادته التاريخية في ما أصاب هذه الكنيسة المهيبه من عبث الزمان والإنسان وتبرز الثانية من خلال وقوع جميع شخصيات الرواية الذكورية في هيام الحساء إيسمير الدا.

وتعتبر القيمة الأولى أيّ الصفة التاريخية لكاتدرائية نوتردام دي باريس مرجع الرواية وعمودها الفقري، وتسعى ذاكرة الكاتب على استرجاع ملامح الكنيسة المقدسة، غير أنه يتقزز من شكلها الحاضر مقارنة إياها بما كان عليه حيث يقول: "ولو كان لنا من الفراغ ما يسمح بتفحص كل أثر على حدة من آثار التهديم في الكنيسة القديمة، لبان لنا أن نصيب الأيام منها هو النصيب الأقل، أما النصيب الأوفى فهو نصيب الناس، ولا سيما رجال الفن منهم"<sup>(1)</sup>. فكلما رأى الكاتب ما لا يلائم مزاجه من دمار وتهديم وتشويه للكنيسة، سواء بفعل الدهر أو الإنسان، إلا واهتزت أعصابه.

ثم يتابع الكاتب في تصوير: "ما هو أجمل من واجهة الكنيسة الأمامية، من صفحات الفن الهندسي، قليل جداً، حيث حفرت على التتابع وفي مرة واحدة أبواب ثلاثة ذات حنايا، وسلسلة مطرزة مسننة من ثمان وعشرين كوة ملكية غير نافذة، والوردة المركزية الضخمة التي برزت منها نافذاتها الجانبية (...). ثم الرواق الدقيق العالي للقناطر الصغيرة، والذي يحمل فوق أعمدته الدقيقة سقيفة ثقيلة، وأخيراً البرجان الأسودان الكثيفان مع أطنافهما الأروازية"<sup>(2)</sup>.

ويسترسل الكاتب بعد ذلك في وصفه للبناء، وقد بعث كل مظهر من مظاهره في نفس هيجو على السأم والتذمر من كل تغيير أصاب داخل الكنيسة: "فإذا دخلنا داخل البناء، تساءلنا عمّن قَلَبَ هيكل القديس كريستوف العظيم، الرائع بين التماثيل (...). ومن الذي وضع ألواحاً زجاجية بيضاء باردة محل تلك الألواح ذات الألوان العالية التي كانت تحمل التردد إلى عيون أبائنا المبهورين"<sup>(3)</sup>. وبهذه الصورة المأساوية المحفوفة بالفجعة والألم على ما حل بالكاتدرائية، يتحسر الكاتب على أنه: "لم تعد نوتردام دي باريس ما يمكن أن يُدعى بالأثر الكامل، المحدد، المصنف.

(1) فيكتور هيجو، أحذب نوتردام دي باريس، ص 109 .

(2) المصدر نفسه، ص 109 و 110 .

(3) المصدر نفسه، ص 111 و 112 .

إنها لم تعد كنيسة رومانية، كما أنها ليست كنيسة قوطية. لم يعد هذا البناء نموذجياً، بل هوبنا انتقالي" (1).

ويرجع فكتور هيجو أسباب الأضرار والتحويلات التي امتدت الكنيسة إلى الطريقة السيئة التي عامل بها المهندسون فن القرون الوسطى ولاسيما في فرنسا، وكذا إلى حشود الثورات السياسية والدينية التي هاجمت البناء مقتلعة منه كل الورود المنقوشة والتمائيل المنحوتة، وأخيراً الانحرافات الفوضوية لعصر النهضة التي قتلت البناء في رمزيته وشكله (2).

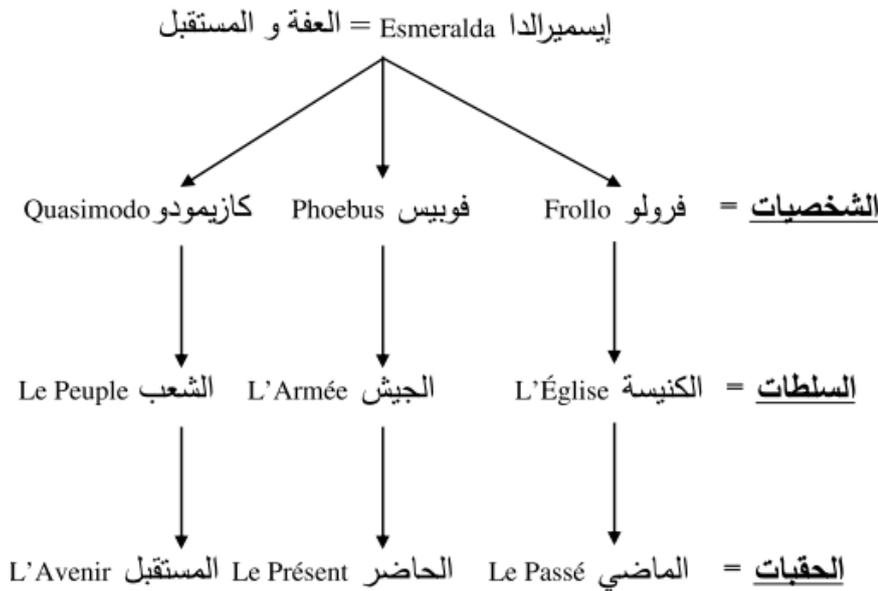
ويحسم الكاتب في الأخير موقفه من هذه الكاتدرائية مصرحاً بقوله: "نوتردام دي باريس هي نموذج خاص لهذا التنوع. فكل واجهة وكل حجر من هذا الأثر المعجب هو صفحة، لالتاريخ البلاد فقط، بل لتاريخ العلم والفن أيضاً (...). هي من بين كنائس باريس القديمة، فيها شيء من كل الكنائس" (3).

وبغرض تثبيت تأريخية المكان / الكاتدرائية عبر ملامحه، حرص الكاتب على تبين مدى تلاحم الشخصيات بالمكان من ناحية، وتأثير المكان على الشخصيات من ناحية أخرى، مما جعل رؤية الكاتب للمكان تُشكّل - بفعل الشخصيات - شبكة من العلاقات التي تتضافر فيما بينها لتشييد المكان الذي تجري فيه الأحداث. وهذا ما توضحه الخطاطة التالية:

(1) المصدر نفسه، ص 113 .

(2) ينظر: المصدر نفسه، 112 و 113 .

(3) فيكتور هيجو، أحدب نوتردام، ص 113 و 114 .



ويتوسع آفاق مكان نوتردام دي باريس في الرواية، توسعت أيضاً رؤى الشخصيات لنفس المكان، وهذا أمر طبيعي: "فالشخصيات التي تعيش في هذه الأمكنة تتلاحم معها وتندمج فيها، وتحس بألفتها"<sup>(1)</sup>، مما يساعد في سيرورة أحداث الرواية وتطورها.

ومن هنا جاء امتداد شخصية قارع الأجراس "كازيمودو" إلى المكان / الكنيسة وجميع الأشياء التي أحاطت بها، إذ تحولت الكنيسة بالنسبة إليه إلى: "البيضة، والعش، والمنزل، والوطن، فالعالم"<sup>(2)</sup>.

كما كان لأحداث الرواية المتتابعة دور في لفت انتباه المتلقي إلى نوع الحياة التي يحيها كازيمودو، حيث ولد: "أعرج، أهدب، أعور، وتوصل كلود فرولو إلى تعليمه النطق بعد جهد كبير متواصل، وصبر شديد"<sup>(3)</sup>.

وعلى قدر ما كانت طفولة الأهدب كئيبة، يضاف إليها صمم الذي أصابته بنوع من الخرس والعجز عن النطق وهو في الرابعة عشرة من عمره، بل كثيراً ما كان يلتزم الصمن، حتى لا يتيح للأخرين فرصة السخرية منه<sup>(4)</sup>.

(1) نبيل سليمان، جماليات التشكيل الروائي: دراسة في الملحمة الروائية، مدارات الشرق، سوريا، دار الحوار، ط 1-2008، ص 231

(2) فيكتور هيجو، أهدب نوتردام دي باريس، ص 126 .

(3) فيكتور هيجو، أهدب نوتردام، ص 127 .

(4) ينظر: المصدر نفسه، ص 127 .

- أما عن تفاعل "كازيمودو" مع المكان، فيمكن توضيحه من خلال النظر في الأحداث التالية:
- لم يكن يلتفت إلى الناس إلا مكرهاً، لذا كانت كاتدرائيته تكفيه.
  - كان أصدقاؤه قديسو الكنيسة يباركونه.
  - لم تكن الكاتدرائية بالنسبة إليه مجتمعاً فقط، بل كانت العالم كله.
  - أحب في هذه الكنيسة كل شيء، لاسيما الأبراج الكبيرة وصوت الأجراس.
  - نظر إلى الكاتدرائية باعتبارها مخلوقاً لطيفاً وطيباً.
  - كان دائم الحضور في كل مكان منها، ولاسيما فوق زواياها.
  - كان هو في حقيقته روح هذه الكاتدرائية<sup>(1)</sup>.

لقد ظل مكان الكاتدرائية يستأثر اهتمام شخصيات أخرى في الرواية ومنها: شخصية الكاهن "فرولو"؛ ليس لأنه المكان الذي كان يقيم فيه وحسب ولكن لأنه أيضاً المكان الذي كان يؤدي فيه الطقوس التعبدية، وتطمئن فيه نفسه، وتشعر بالأمان والاستقرار، وبذلك: "يصبح المكان كائناً حياً يمارس حركته في الخطاب يؤثر ويتأثر بباقي المكونات الروائية خاصة الشخصيات"<sup>(2)</sup>.

ويبدو تأثير شخصية فرولو على المكان من خلال اختيار: "لنفسه حجيرة صغيرة قائمة بين البرجين في الكنيسة مطلة على الجرف وعلى جانبها قفص الأجراس"<sup>(3)</sup>.

ومما زاد التفاعل بين الشخصية وتلك الحجيرة، أن سمات المكان لم يحددها الموصوف ذاته، وإنما حُدِّثت من خلال ذات الشخصية وممارساتها لأنواع السحر فيها، ومن ثم كان وصف المكان مرتبطاً بما قامت به شخصية "فرولو" وما لوحظ على سلوكها من تغيير، ولعل يعود تفسير ذلك إلى أن محتوى تلك الحجيرة ظل مجهولاً، فكثيراً ما كان يظهر من الحجيرة ضياء أحمر ثم يختفي بصورة منقطعة، وكأنه نار<sup>(4)</sup>.

وهناك إشارة أساسية حول تأثير المكان على ظاهر شخصية "فرولو" ومن ثم تحديد ملامحها، تجسدت عبر ارتباط المواصفات المكانية بالشخصية إلى أن أصبحت في النهاية جزءاً لا يتجزأ من الشخصية.

ويمكن تحديد طبيعة تلك العلاقة من خلال النظر في المواصفات المكانية التالية :

- الغرفة صغيرة بمجموعها بدت متروكة، رثة، قليلة الضياء .

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 128، 130 .

(2) الشريف حبيبة، بنية الخطاب الروائي: دراسة في روايات نجيب الكيلاني، إربد، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، 2010، ص 191 .

(3) فيكتور هيجو، أحذب نوتردام دي باريس، ص 135 .

(4) ينظر: فيكتور هيجو، أحذب نوتردام، ص 135 .

- غبار وأنسجة عنكبوت في كل مكان .
- حال الأدوات فيها سيئة تدل على أن الكاهن كان مشغولاً عنها .
- بداخلها منضدة كبيرة عليها مسمار ومطرقة صغيرة رُسمت فوق مقبضها حروف .
- وموقد قائم على يسار المقعد وتحت كوة الغرفة.
- كتابات بأعداد كبيرة فوق الجدران، بعضها مكتوبة بالحبر وبعضها الآخر منقوش<sup>(1)</sup>.

تقدم الرواية على غرار الشخصيات الأخرى، صورة واضحة المعالم لشخصية "إيسميرلدا" التي أحدث المكان / نوتردام في نفسها أحاسيس مختلفة، منها أنه جسد لها فضاءً للأمن والأمان: "فالكنييسة التي كانت تحيط بها من كل جانب، حرستها، وأنقذتها، كانت هي نفسها عنصر تهدئة عظيمة لها"<sup>(2)</sup>.

ومنها أيضاً أن العجربة انسجمت مع هذا المكان إلى حد أن شعرت فيه بالسكينة لأنه يلتقي فيه إلهام تلك الشابة التي كانت تمثل النقاء والإغراء في حياتها بذلك البناء الذي كان: "يحمل الهدوء إلى روحها المريضة"<sup>(3)</sup>.

وتطالعنا الرواية - في مواضع أخرى - على مدى تفاعل هذه الشخصية مع الكاتدرائية حيث كان كل شيء يؤثر في الفتاة: "خطوط هندستها الرائعة الروح الدينية التي تنبعث من كل أشيائها، الأفكار الورعة الطاهرة التي كانت تنبثق من مسام هذا البناء الحجري العظيم"<sup>(4)</sup>.

ولقد ركز فكتور هيجو على المكان / الكاتدرائية من حيث تأثيره السحري على البطلية "إيسميرلدا"، فكان هذا الأثر بادياً عليها كلما تجاذبتها: "أناسيد الكهنة الرتيبة، وارتجاف الألواح الزجاجية المتناغم، والأرغن المنفجر بألحانه، وأبراج الأجراس التي تدوي في السماء"<sup>(5)</sup>.

#### الخاتمة

وهكذا، فقد منحنا المكان في رواية "نوتردام دي باريس" - عبر تجاذبات الأحداث وتشابكها - معلومات عن حركة الشخصية داخله وأهمية تنظيم السرد والأحداث وتطورها حتى يمكن القول عنه أنه: "عنصر فاعل في هذه الأحداث بصفته الكيان الإنساني الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان وبيئته، ولذا فإن شأنه شأن أي نتاج اجتماعي آخر يحمل جزءاً من أخلاقية وأفكار ووعي ساكنيه"<sup>(6)</sup>.

(1) ينظر: المصدر نفسه، ص 192، 194 .

(2) المصدر نفسه، ص 299 .

(3) المصدر نفسه، ص 300 .

(4) ينظر: المصدر نفسه، ص 300 .

(5) فيكتور هيجو، أحذب نوتردام، ص 300 .

(6) سيزا قاسم، بناء الرواية، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، 1985، ص 68 .

- لذلك احتلت الكاتدرائية "نوتردام دي باريس" منزلة رفيعة في بناء المكان لدى فكتور هيجو، حيث شكل له منجماً ثرياً بالأفكار والرؤى المختلفة، والمشاهد التي ارتكزت عليها الرواية.
- كما نقلتنا الرواية في دراستنا لرمزية المكان الذي كانت باريس بشوارعها وبيوتها وشخصياتها جزءاً منه، إلى استخلاص النتائج الآتية:
1. يظهر أن المكان قد اكتسب أهمية كبيرة عبر ارتباطه بالشخصيات أولاً، وبالأحداث ثانياً، حيث جاءت صور المكان في الرواية متنوعة من ناحية طبيعة توظيفه بحيث تحركت فيه الشخوص وجرت عليه الأحداث.
  2. لقد جسد الكاتب في المكان الحقيقي "كاتدرائية نوتردام دي باريس" الواقع الذي عاشه الشعب الفرنسي وتحديداً الباريسي خلال فترة العصور الوسطى، وما عاناه من حرمان وظلم.
  3. العتبة العنوانية المتمثلة في "أحدب نوتردام دي باريس" عنواناً مكانياً مبدعاً شكلاً ومضموناً، يرتبط بالمتن الروائي وهيمنته على جميع أجزاء النص الروائي في مفاصل الرواية المتنوعة.
  4. اكتسب المكان أهميته - على تعدده وتنوعه - من خلال الأحداث التي جرت فيه، فمنحته ديكوراً جميلاً تباينت بين الاتساع والضيق تارة، وبين الانفتاح والانغلاق حيناً.
  5. نرى أن الكاتب أحسن توظيف المكان وتسخير منه بدء روايته إلى منتهائها، ليظهر لنا واقع العصور الوسطى بأبعاده وخصوصياته، ونعني بذلك: أهمية المشاعر الإنسانية، الحضور القوي للدين، ورمزية الموت.
  6. الملاحظ أيضاً أن ما أوردناه من أمكنة جاء على سبيل الذكر لا الحصر، إذ هناك أماكن أخرى شهدت بعض الأحداث، فبدت قليلة القيمة والأهمية، لذا لم نقف عندها.
  8. وأخيراً، لم تندرج الشخصية الروائية في رواية فكتور هيجو في مستوى واحد، بسبب انفتاح النص على المجتمع الفرنسي بفئات مختلفة، لذلك نجد فيها تنوعاً في الشخصيات التي تمثلت في الكاهن والغجرية والمعوق، وقد اتخذ هذا التعدد أشكالاً عدة بحسب رؤية الشخصية وموقفها ووعياها.

#### References (Arabic and Foreign)

- Abdelmalek Murtaza. (1997). Reading the text. book Riyadh. number 46 / October. number 47 / November.
- Abdul Malik Morta. (1998). *In the theory of the novel*. Kuwait. the National Council for Culture and Arts.
- Abdul Rahman Badawi. (1975). *Introduction to Modern Philosophy*. Kuwait. Publications Agency. ed.1.

- Alfred Barbou, (1881). Victor Hugo and His Time, G. Charpentier Publisher.
- Bassam Mousa Qoutous. (2001). *Title Semiotics*, Amman, National Library Department, ed.1.
- Ernest Dupuy, Victor Hugo His Poetic Work, Boivin Et Cie Publisher, Paris, 13th edition.
- Ezzeddine Ismail, (1984). *Psychological Interpretation of Literature*. Cairo. Dar Gharib. ed.4.
- Gaston Blacher. (1980). *The aesthetics of the place*. Translation: Ghaleb Hals. Baghdad. Ministry of Culture and Information.
- George Lukacz. (1986). *The Historical Novel*. Translation: Saleh Jawad Al-Kadhim. Baghdad. House of Public Cultural Affairs. ed.2.
- Gerald Prince. (2003). *Terminology*. Translation: Abed Khazandar. National Project of Translation.
- Hamid Al-Hamdani. (1991). *The Structure of Narrative Text from the Perspective of Literary Criticism*, The Arab Cultural Center, ed.1.
- Hasan Bahrawi. (1990). *The Structure of the Novel Form: Space. Time. Profile*. Beirut. Arab Cultural Center. ed.1.
- Ibn Manzoor. *Lisan al-Arab*. Article: Place. Part 3.
- Jean.Yves Tadié, (1982). The adventure novel by Paris, P.U.F.
- *Journal of Literary History of France*. Publisher: Presses Universities de France. Vol.111,
- Khalil Shukri Hayas. (2011). Title directed by Qaraya, Memorial Excavations Example. *Journal of the Cultural Writer*. No. 188.
- Leopold Mabileau, Victor Hugo, (1907). Hachette Et Cie Bookstore, Paris, Fourth Edition,

- Louis Maigron. (1912). The historical novel in the romantic era. essay on the influence of Walter Scott. Old bookstore honored champion, publisher. Paris.
- Maawia Saidouni. (2010). Paris: The Base of Renewal of Architecture and Architecture in the Nineteenth and Twentieth Centuries, Kuwait, *World of Thought Magazine*, National Council for Culture, Arts and Letters, Number 3. Vol. 38.
- Mohamed Benis, (1990). *Modern Arabic Poetry: Constructions and their replacement. C 3. Casablanca*. Dar Toubkal. ed.1.
- Mohammed Saber Obeid & Sawsan al-Bayati, (2008). *Aesthetics of the novelist composition: a study in the narrative epic*. Lattakia. Dar Dialogue for publication and distribution. ed.1.
- Nabil Suleiman, (2008). *The aesthetics of the novelist composition: study in the epic story. the orbits of the East*. Syria. Dar al-Hawar. ed.1.
- Nasser Al Din Saidouni, (2010). Paris between the genius of the place and the effectiveness of human. Kuwait. *the magazine of the world of thought*. Number 3.
- Omar Mohamed Talib, (1993). *The doctrines of criticism. study and application*. University of Mosul. Dar books for printing and publishing. ed.1.
- Said Benkrad. (2001). *The Seminaries of the narrative. Rabat. Publications time*.
- Sherif Habila. (2010). *Structure of the Novel: A Study in the Novels of Najib Al-Kilani*. Irbid. The World of Modern Books for Publishing and Distribution.
- Siza Kassem. (1985). *Building the Novel*. Beirut. Dar al-Tanweer for Printing and Publishing.
- Victor Heijou, (2007). *Ahede Notre Dame*. Translation: Ramadan Launde. Beirut. Dar El Elm for millions.

- Victor Hugo, (1844). Notre Dame de Paris by: Perrotin, Publisher: Paris.
- Yasin Al-Nusair, (1986). *The Novel and the Place*. Baghdad. Public Cultural Affairs House. Small Encyclopaedia Series.
- Ziad al. Zoghbi. (1995). The place and its implications in the novel return to the north. *Yarmouk Research Journal*. Yarmouk University. Jordan. Volume 12. Number 2.